الدرس الخامس: العقيدة الإسلامية (مفهومها- أسمائها – مصادرها- أهميتها - خصائصها)

د. خيرية القحطاني

أولاً: مفهوم العقيدة الإسلامية

العقيدة في اللغة:

عقد : العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدةٍ وثوقٍ، مأخوذة من العقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء والربطُ والشدُّ بقوة[١].

العقيدة في الاصطلاح:

العقيدة اصطلاحًا عند أهل هذا العلم – علماء العقيدة – لها معنيان:

الأول: معنى عام يشمَل كل عقيدة، فالعقيدة بالمعنى العام هي الإيمان واليقين الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ لدى معتقده، سواء أكان هذا الاعتقاد حقًّا أم باطلاً.

الثاني: معنى خاص يَشمل العقيدة الإسلامية فقط وهو: الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره[٢].

ثانياً: موضوعات علم العقيدة:

العقيدة من حيث كونها علماً –بمفهوم أهل السنة والجماعة– تشمل موضوعات: التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبوَّات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنِّحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم[٣].

ثالثاً: أسماء علم العقيدة:

للعقيدة الإسلامية أَسماء مُتعدِّدة عند أَهل السُّنَّة والجماعة، منها: العقيدة، والاعتقاد، والعقائد، والتوحيد، والسنَّة، والشريعة، والإيمان، وأصول الدِّين، وما مِن اسمٍ مِن هذه الأسماء إلا وتجد بعض الأئمة قد صنَّف كتابًا وسماه بهذا الاسم، فكم مِن كتاب لأئمة السلف اسمه الإيمان أو التوحيد أو أصول الدِّين أو نحو ذلك، وسنقتصر على بعض من تلك المسميات هي:

١. مصطلح السنة:

مِن أسماء العقيدة الصحيحة" السنَّة"، وتُطلَق السنَّة بمعنى شرعيٍّ عام يشمل ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفاؤه الراشدون مِن الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنَّة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يُطلِقون السنة إلا على ما يَشمل ذلك كله.

وليس المقصود بالسنَّة هنا الاصطلاح الفقهي، أو الاصطلاح الأصولي المتعلِّق بالأحكام التكليفية، وهي أن السنَّة ما يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها، هذا اصطلاح خاص عند الفقهاء، لكن السنَّة كمُصطلح شرعيٍّ وَرَد في النصوص النبوية يُراد به العقيدة الصحيحة التي خلافها البدع.

وقد أطلق العلماء على العقيدة الصحيحة اسم "السنَّة"؛ لتمييزها عن عقائد ومقولات الفِرَق الضالة؛ لأن العقيدة الصحيحة مُستمَدة مِن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي هي مُبيِّنة للقرآن.

وقد اعتبر العلماء معنى السنَّة :اتباع العقيدة الصحيحة، وأطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسم: "السنة"؛ بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في ذلك.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم السنَّة :كتاب" السنة"؛ للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب" السنة"؛ لابن أبي عاصم، وكتاب" السنة"؛ للأثرم، وكتاب" السنة"؛ لأبي بكر المروَزي، وكتاب" السنة"؛ لأبي بكر الخلال، وكتاب" السنة"؛ لمحمد بن نصر المروَزي.

٢. مصطلح أصول الدين:

ومِن أسماء العقيدة الصحيحة :أصول الدِّين، وقد أُطلِق على العقيدة الصحيحة اسم أصول الدِّين؛ لأن أصول الدِّين هي ما يقوم الدِّين عليها، وتُعتبَر أصلاً له، والدِّين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد؛ فسائر أمور الدِّين كلها تُبنى على العقيدة.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم أصول الدِّين" :(الإبانة عن أصول الديانة"؛ للإمام أبي الحسن الأشعري، و"الشرح والإبانة عن أصول السنَّة والديانة"؛ لابن بطة العكبري.

ويَنبغي ألا يَرِد على بالك أن الأصول هي التي تؤخذ ويُعمَل بها فحسب، ويُمكن الاستغناء عن الفروع، فهذا الفهم خطأ؛ لأن الدين كلٌّ لا يتجزأ، وقد عاب الله على أهل الكتاب أنهم يؤمنون ببعض الكتاب، ويَكفرون ببعضه الآخَر.

وأصول الدِّين يُقصَد بها العقيدة والقطعيات والمسائل الكُبرى التي تَحكم قواعد الشرع، والذين كرهوا هذا الاسم أو هذا الوصف مِن السلف، كرهوه لأنه يُقسِّم الدِّين إلى أصول وفروع، فمِن هنا قد يفهم العامة أن الفروع أقل منزلة مِن الأصول في الاعتقاد والعمل، وأنه ربما يسع الإنسانَ إذا عرف الأصول واعتقَدها الإخلالُ بالفروع أو ببعضها، وهذا فهم خاطئ؛ فلذلك يرى بعض السلف أن الدِّين واحد، أصوله وفروعه سواء، ولا يَجوز أن يقسم إلى أصول وفروع.

٣. مصطلح التوحيد:

ومِن أسماء العقيدة الصحيحة :التوحيد، وقد أُطلِق على العقيدة الصحيحة اسم التوحيد؛ مِن باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله – عز وجل – هو أشرف مباحِث عِلم العقيدة.

أما المباحث الأُخرى؛ مِن إيمانٍ بالملائكة، والكتُب، والرسُل، واليوم الآخِر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه، وتستند إليه؛ إذ هو أساسها وجوهرها، فهي تدخل فيه بالاستِلزام.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم التوحيد" :كتاب التوحيد"؛ لابن خزيمة، و"كتاب التوحيد"؛ لابن منده، و"كتاب التوحيد"؛ لابن رجب، و"كتاب التوحيد"؛ لابن سريج البغدادي.

٤. مصطلح الإيمان:

ومن أسماء العقيدة الصحيحة :الإيمان، وكلمة الإيمان ومُشتقاتها مِن أكثر الكلمات استعمالاً في القرآن الكريم والسنَّة النبوية ، وقد أُطلق على العقيدة الصحيحة اسم الإيمان، وهو التصديق الجازم بالعقائد الواردة في القرآن والسنَّة والعملُ بمُقتضاها.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم الإيمان" :كتاب الإيمان"؛ لابن أبي شيبة، و"كتاب الإيمان"؛ لابن منده، و"كتاب الإيمان"؛ لأبي عُبَيد القاسم بن سلام، و"كتاب الإيمان "مِن" صحيح البخاري"، و"كتاب الإيمان"؛ لابن تيمية [٤].

رابعاً: مصادر العقيدة الإسلامية

تعتمد العقيدة الإسلامية على خمسة مصادر، وهي:

١– كتاب الله تعالى (القرآن الكريم): الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أ. الرجوع في تفسير القرآن إلى القرآن نفسه؛ فهو ﷻ أدرى وأعلم بما أراده من لفظه ومعانيه. فإذا لم نجد البيان في القرآن رجعنا إلى سنة النبي ﷺ؛ لأنه المبلغ عن ربه فهو أعلم بمقاصده ممن سواه. فإذا لم نجد ما يبين المعنى رجعنا إلى تفسير الصحابة؛ لأنهم الأحرص على فَهم كتاب الله، وهم الذين شاهدوا تنزيله ويعلمون أسباب نزوله، وقد حضروا وقائعه، وعالج مشاكلهم، وهم أعلم الناس بلغة العرب، وهم مع ذلك حريصون على تدبره وفهمه، فإذا لم نجد في أقوال الصحابة ما يبين المعنى، رجعنا إلى أقوال التابعين فهم تلاميذ الصحابة، ونقلة علمهم المقتدون بهم في الإيمان والعمل. فإذا لم نجد رجعنا إلى لغة العرب، التي أنزل بها القرآن فنستفيد معانيه من استعمالاتها وطرق التعبير بها .

ب. يحرم تفسير القرآن بالرأي المجرد؛ لأن فيه ميل للهوى, وتفسير لكلام الله ﷻ بغير مراده ، يقول ﷺ: (ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه الترمذي وحسنه، وفي رواية للترمذي: "بغير علم".

ت. ألا يحمل تفسير الآيات على مذهب معين، كأن يتبنَّى المفسر معتقداً معينا ثم يحمل الآيات عليه مع أنها لا تدل عليه من قريب ولا من بعيد، بل الواجب أن يجعل القرآن إماماً يبنى عليه ويرجع إليه.

ث. تقدم الحقائق الشرعية على الحقائق اللغوية؛ لأن المعنى اللغوي أخص في الدلالة على مراد الشارع.

ج. ألفاظ القرآن لا تتناقض ولا تتعارض بل هي متوافقة متصادقة لذا وجب رد المتشابه إلى المحكم البين الواضح، فمن تأصيل العقيدة العمل بالمحكم؛ لأن هناك آيات متشابهة من عمل بها أخذ مسلك الفرق والمذاهب الضالة ، فاتباع المتشابه من صفات أهل الزيغ كما قال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ...} [ال عمران/ ٧] [٥].

٢– السنة النبوية: ما صح من سنة الرسول ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى. مكانة السنة في العقيدة الاسلامية:

أ. **أنها وحي مستقل مثل القرآن الكريم:** إذا كان القرآن الكريم هو مصدر الدين، عقيدة وشريعة، فإن السنة النبوية مثل القرآن في ذلك؛ لأنها وحي من الله تعالى، فقد وصف –سبحانه–ما يصدر عن نبيه –صلى الله عليه وسلم–بأنه وحي، فقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم/ ٣ – ٤]. وعن حسان بن عطية، قال: (كان جبريل –عليه السلام–ينزل على النبي ﷺ بالسنة، فيعلِّمه إياها كما يعلمه القرآن). فالسنة مثل القرآن في المكانة من جهة وجوب الامتثال، كما قال ﷺ: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) ، أخرجه أبو داود وهو صحيح. والمراد بذلك: السنة النبوية. قال ﷺ: (عليكم بسنتي) [٦] .

ب. بيان السنة للقرآن: السنة هي التي تُبيّن مُجمل القرآن, وتخصص عامّه, وتُقيّد مُطْلقه، بل جاءت بعقائد وأحكام كثيرة لم تذكر في القرآن الكريم كخروج الإمام المهدي في آخر الزمان وبيان كثير من أشراط الساعة وأحوال الموتى في القبور وغير ذلك، قال ﷺ: (قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) أخرجه ابن ماجه وهو صحيح. قال الإمام مالك: (السنة سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق) ، وقال بعض السلف فيما ذكره الإمام البربهاري في "شرح السنة": (القرآن أحوج للسنة من السنة للقرآن) ؛ لأن القرآن في أغلبه مجمل يحتاج إلى بيان عقائده وأحكامه، وأما السنة فهي مفصلة مبيَّنة [٧].

٣– الإجماع: هو اتفاق علماء الأمة على أمر ديني وله شروط:

أ. **الشرط الأول:** أن يكون الاتفاق بين العلماء إذ لا عبرة بخلاف غير العلماء على القول الراجح.

ب. **الشرط الثاني:** ألا يخالف عالِم بالدليل، فإن خالف بغير دليل لا عبرة بخلافه.

ت. **الشرط الثالث:** أن يكون الاتفاق في أمر شرعي، فالأحكام العقلية كالرياضيات والأحكام التجريبية كالطب والأحكام الوضعية كقواعد اللغة والتجويد لا تدخل في الإجماع.

ويعد الإجماع مصدرا من مصادر الأدلة الاعتقادية؛ لأنه يستند في حقيقته إلى الوحي المعصوم من كتاب وسنة، وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة والسلف الصالح، ولا تجتمع الأمة في أمور العقيدة ولا غيرها على ضلالة وباطل. (فالإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه في العلم والدين، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة). وعلى هذا فإجماع السلف الصالح في أمور الاعتقاد حجة شرعية ملزمة لمن جاء بعدهم، وهو إجماع معصوم، ولا تجوز مخالفته، (فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة أصول معصومة). [٨]

٤– العقل الصريح: العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدراً مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

أ. **مكانة العقل في العقيدة الإسلامية:** رفع الوحي من قيمة العقل وحث على التعقل، وأثنى على العقلاء، قال تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر/١٧-١٨]. والنصوص الشرعية قد جاءت متضمنة الأدلة العقلية صافية من كل كدر، فما على العقل إلا فهمها وإدراكها، فمن ذلك: قوله تعالى:{ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [الأنبياء/٢٢] ،وقال سبحانه:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور/٣٥]. وقال جل وعلا: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا } [سورة النساء/ ٨٢]. وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي مظنة الهلاك وسبيل الضلال ، فميزان صحة المعقولات هي الموافقة للكتاب والسنة.

ب. **منزلة العقل في الاستدلال على العقائد:** والعقل قد يهتدي بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال، كإثبات وجود الله مع ثبوت ذلك في الفطرة أولاً. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(لا تحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر، عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين). [٩]

ثم إن كثيراً من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها والعلم بها لا تدرك العقول حقيقتها وكيفيتها، وذلك كصفات الله تعالى وأفعاله، وحقائق ما ورد من أمور اليوم الآخر من الغيبيات التي لا يحيلها أو يردها العقل، ولا يوجبها أو يطلبها ، ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لتقرير مسائل الغيب، تنبيهاً للعقول على إمكان وجودها، فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها.

وأخيراً: فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ فالأول خلق الله تعالى والثاني أمره، ولا يتخالفان؛ لأن مصدرهما واحد وهو الحق سبحانه: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الأعراف/ ٥٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة)[١٠]-[١١].

٥. **الفطرة السليمة:** أما الفطرة فهي خلق الخليقة على قبول الإسلام والتهيؤ للتوحيد، أو هي الإسلام والدين القيم. قال تعالى:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } [الروم/ ٣٠]. وقوله تعالى: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ معناه: أن الله ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة. وفي الحديث الصحيح: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟) [١٢] . فمعنى خلق المولود على الفطرة هو: أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، والفطرة قبول الإسلام، فهي كالأرض الخصبة القابلة، والوحي كالغيث النازل من السماء، ما إن ينزل عليها حتى تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

والفطرة السوية تقبل الإسلام وتهتدي إلى وجود الخالق بما أودع الله الخلائق من قوانين كلية، تظهر آثارها في الطفل الناشئ الذي لم يتعلم أو يتكلم، فهو يدرك أن الحادث لابد له من محدث، وأن الجزء دون الكل، وأنه يستحيل الجمع بين المتناقضين، وهذا من أوائل العقل وبواكيره، وقلوب بني آدم مفطورة على قبول الإسلام وإدراك الحق، ولولا هذا الاستعداد ما أفاد النظر ولا البرهان، شأنها في ذلك شأن الأبدان، فطرها الله تعالى قابلة للانتفاع والاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لما حصل انتفاع [١٣] .

خامساً: أهمية العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة تظهر في الأمور التالية:

١. أن جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى :{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء/ ٢٥]

٢. أن تحقيق توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن، قال سبحانه وتعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات/ ٥٦]

٣. أن قبول الأعمال متوقف على تحقق التوحيد من العبد، وكمال أعماله على كمال التوحيد، فأي نقص في التوحيد قد يحبط العمل أو ينقصه عن كماله الواجب أو المستحب.

٤. أن النجاة في الآخرة – ابتداءً أو مآلاً – متوقفة على صحة العقيدة، مما يبرز أهمية تعلمها واعتقادها على المنهج الصحيح. قال –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) [١٤]

٥. أن هذه العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه: معرفة، وتوحيدًا، وعبادة شاملة لله تعالى: بالخوف والرجاء، والمراقبة والتعظيم، والتقوى والإنابة... ورعاية تامة من الله للعبد: نطفة، وصغيرًا، وكبيرًا، في البر والبحر، رزقاً وإنعاماً، وحفظاً وعناية.

٦. أن السعادة في الدنيا أساسها العلم بالله تعالى، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة إلا بأن يعرف العبد ربه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

٧. أن هذه العقيدة تجيب عن جميع التساؤلات التي ترد على ذهن العبد، ومن ذلك: صفة الخالق، ومبدأ الخلق، ونهايته، وغايته، والعوالم الكائنة في هذا الوجود، والعلاقة بينها، وموضوع القضاء والقدر...

٨. تركيز القرآن والسنة على موضوع العقيدة: بياناً وتقريراً، وتصحيحاً، وإيضاحاً، ودعوةً.

٩. أن العقيدة الصحيحة سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين، فالطائفة المتمسكة بها هي الطائفة الظاهرة والناجية والمنصورة التي لا يضرها من خذلها. قال –صلى الله عليه وسلم–: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [١٥]

١٠. العقيدة الصحيحة هي ما يعصم المسلم من التأثر بما يحيط به من عقائد وأفكار فاسدة.

وفي الجملة فإن (العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصحّ معه الأعمال، كما قال تعالى :{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[الكهف/ ١١٠]، وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

فدلّت هذه الآيات الكريمات، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثَمّ كان اهتمام الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – بإصلاح العقيدة أوّلاً، فأوّل ما يدعون إليه أقوامهم هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل/ ٣٦]

وقد بقي النبي –صلى الله عليه وسلم– في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدؤون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين[١٦].

سادساً: خصائص العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية سمات وخصائص تميزها عن غيرها من العقائد والأفكار الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص :

١. التوقيفية:

فهي عقيدة يوقف بها على الحدود التي بيَّنها وحددها رسول الله ﷺ، فلا مجال فيها لزيادة أو نقصان أو تعديل أو تبديل، فهي ربانية المصدر موحى بها من عند الله عز وجل، فلا تستمد أصولها من غير الوحي.

وهذه الخاصية تميزها عن غيرها من المعتقدات الوثنية التي تنشئها الأوهام والتصورات البشرية من تلقاء نفسها، كما أنها تميزها عن العقائد السماوية في صورتها الأخيرة التي آلت إليها على يد الأتباع بما أضافوه إليها، وبما حذفوه منها، وبما غيّروا فيها وبدّلوا حسب ما أملته عليهم أهواؤهم وشهواتهم ومصالحهم البشرية، فتحولت تلك الديانات والعقائد إلى ديانات وثنية.

وكونها ربانية فإن كل حقيقة من حقائقها تتفق مع فطرة الإنسان ولا تتناقض معها، كما أنها تتفق مع العقل كقوة واعية مدركة للحقائق، فالعقيدة تنظر إلى العقل كمحطٍ للخطاب، ومناط للتكليف وأداة للكشف والتبصر والتدبر في الكون وما فيه من مخلوقات، وكونها ربانية فهي عقيدة بسيطة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد.

٢. الثبات:

العقيدة الإسلامية ليست نظريات وضعها البشر، وإنما هي حقائق ثابتة كاملة وضعها الله تعالى، فهي لا نقص فيها ولا أخطاء، فلا تحتاج إلى إتمام أو تعديل أو تطوير أو تصويب.

وثبات العقيدة يظهر في كل ركن من أركانها، وهذا الثبات لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة يعرف بموجبها الحق من الباطل، والخير من الشر. وفي نطاق حقائق الإسلام الثابتة، يستطيع الإنسان أن يتحرك، ويرتقي، ويكتشف، ويطوّر من وسائل معيشته. فمثلاً قواعد وأسس الحكم في الإسلام واسعة ثابتة لا تتغير على مدى الأزمان، إلا أن شكل الحكومة يتغير حسب مصلحة المسلمين والعصر الذي يعيشون فيه .

٣. الشمول:

ونجد هذه الخاصية بارزة واضحة في الإسلام، فهو دين شامل كامل، لم يترك جانباً من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية إلا وقد نظمّه تنظيماً دقيقاً شاملاً لجميع نواحي الحياة؛ ولذلك فإن العقيدة الإسلامية . وهي أساس هذا الدين . عقيدةٌ شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وشاملة في نظرتها للوجود كله، فهي تُعرِّفنا على الله تعالى، والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة.

٤. التكامل:

وإذا كان الدين الإسلامي قد بلغ ذروة الكمال والشمول والواقعية، فإن العقيدة كذلك عقيدة تتميز بالتكامل والترابط، تتجمع فيها كل الأجزاء وتترابط ترابطاً دقيقاً لا يقبل التجزئة والانفصام، ولذلك فإن الأحكام فيها تؤخذ "كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتَّبة عليها، وعامّها المرتب على خاصِّها، ومطلقها المحمول على مقيدّها، ومجملها المفسَّر ببيِّنها.. إلى ما سوى ذلك من مناحيها" .

وللعقيدة الإسلامية صورٌ شتى للتكامل، فأركان الإيمان كلها مترابطة ارتباطاً وثيقاً، يُكمِّل كلٌّ منها الآخر ويرتبط به، بحيث لو حصل إخلال بواحد منها أو إنكار له، كان تأثيره على سائرها واضحاً، بل إن هذه الأركان تتجمع حول الركن الرئيس وهو الإيمان بالله عز وجل، ومن هنا تأتي أركان الإيمان كلها في سياق واحد يحقق صفة الإيمان لصاحبها، وتأتي النصوص القرآنية كذلك لتؤكد على الارتباط بين الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، وتقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر، وتجعل الإيمان بالرسل أمراً لا يتجزأ، فمن كفر بواحدٍ منهم فقد كفر بهم جميعاً، بل قد كفر بالله تعالى، لأنهم جميعاً أُرسلوا من عند الله تعالى برسالة واحدة، وقد قرر الله تعالى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

٥. التوازن:

وبجانب هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية بارزة في العقيدة الإسلامية تتصل بأهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلك هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فقد أقامت العقيدة توازناً رائعاً بين مكونات النفس والكون والحياة، فقد وازنت بين المادة والروح، وبين الدين والدنيا، وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وبين المطالب الفردية والنزعات الاجتماعية، وبين ضرورات العمل وواجبات العبادة، وبين حب النفس وحب الآخرين والعمل لهم[١].

وقد ترتب على توازن العقيدة: خلوها من الخصام والتناحر الموجود في العقائد الأخرى التي وضعها البشر، ثم قبول الأفراد لها والتزامهم بها في الحياة.

وبهذه الخاصية –أيضاً– يتميز الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب الأخرى، حيث تعنى بجانب على حساب الجوانب الأخرى، إما أن يكون ذلك ابتداءً، وإما أن يكون ردة فعل أو معالجة لخطأ سابق[١٧].

المراجع للدرس الخامس

[١] انظر: لسان العرب مادة عقد ؛ القاموس المحيط مادة (عقد)

[٢] أنظر: المعجم الوسيط (٦١٤/٢)؛ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية(١٢١)؛ رسائل في العقيدة ، محمد الحمد(١٣)؛علم العقيدة ، محمد يسري(١٢٨-١٢٩).

[٣] - انظر: شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح آل الشيخ(١/ ٢) ؛ رسائل في العقيدة ، الحمد(١٣).

[٤] انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ضميرية(١٩٨-٢٠٣) ؛ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ،البريكان (٢٢-٣٦) بتصرف.

[٥] انظر: المدخل لدراسة العقيدة الاسلامية، البريكان (٢٣-٢٦) بتصرف بسيط.

[٦] انظر : مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية ، عثمان ضميرية (١٦٣).

[٧]- انظر : أفي السنة شك ، أحمد السيد (٤٥-٥٣) .

[٨] انظر : الوجيز في اصول الفقه ، عبدالكريم زيدان (١٧٩-١٩٣) بتصرف ؛ وانظر ايضاً : علم العقيدة عند أهل السنة ، محمد يسري (١٩٣).

[٩] انظر: الصارم المسلول، ابن تيمية (٤٥٩/٢).

[١٠] مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٤٩٠/١١).

[١١] انظر: علم العقيدة عند اهل السنة ، محمد يسري(١٩٣-١٩٨) ؛ مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية ، عثمان ضميرية(١٨٦-١٩٣).

[١٢] اخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (ح: ١٣٨٥).

[١٣] أنظر: مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية، ضميرية(٨٤-١٢٥) بتصرف؛ علم العقيدة ،يسري(١٢٧-١٣٨)؛ المدخل لدراسة العقيدة ،ابراهيم البريكان (١٢٠١٧)؛ عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد الحمد(١٠-١٣).

[١٤] رواه البخاري في صحيحه، كتاب :الصلاة ،باب: المساجد في البيوت(رقم:٥٠)

[١٥] اخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب: الإمارة ،باب: قوله (لا تزال طائفة من أمتي...)(رقم:١٩٢٠)

[١٦] انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ضميرية (٣١-٤٢)؛رسائل في العقيدة، محمد الحمد(١٥-٢١) ؛ عقيدة أهل السنة، الحمد(١٨-٣٩)؛عقيدة التوحيد، صالح الفوزان(٨-١٠) ؛ وكتاب مدخل لعقيدة السلف ، عيسى السعدي (١١- ١٣) بتصرف.

[١٧] انظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية ، عبد الله الجبرين (٦) ؛ رسائل في العقيدة ،الحمد(١٥-٢١) ؛ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ،ضميرية(٣٨١-٣٩٤).